البسمات الساخرة

بِرَغْمِكَ مثلي أيها الزهر تغتدي   الى الكون من أكمامك النضرات ؟
وتوفي على الدنيا وفيكَ ابتسامةٌ   تعبِّر عما عبَّرتْ بسماتي ؟
وما بسمتي إلاَّ مقالةُ ساخرٍ   خلَتْ من صرير النطق والهمسات
وليس يجازَى الدهرُ في حال غدره   سوى بابتسام ساخرٍ وثبات
أتبسمُ مثلي هازئاً مترفعاً   تُرَى ؟ أم حياة الزهر غير حياتي ؟
خلَصتَ من الآلام ؟! الا بل تعدَّدتْ   عليكَ ، ولا تدري الذي هو آتٍ
نجوتَ من القيد المذلِّ ولم تعُدْ   تحجِّبُكَ الأكمامُ منطبقاتٍ
فطِرْ عن حماكَ الآن ... لستَ بنائلٍ   خلاصاً ، وما الأغصانُ غير حُماةِ
الى أنْ يمرَّ القاطفون فتنتهي   الى عالَمٍ مُستَبْهِمِ الظلماتِ
نعم ! أنتَ مثلي أيها الزهر مُرغَمٌ   وما هذه الألوان غير شيات
وما العطر إلاَّ أنَّةٌ وتوجُّعٌ   كأصداء أنغامي ورجع شكاتي
يغني شجيُّ القلب والناسُ حولهُ   طروبين بالإنشاد والنغمات

* * *

تردَّدَ في أفْقِ الرياض صدى الذي   أقولُ ، وشاعَ الحزنُ في كلماتي
ومالَ جميعُ الزهر في خطراته   وذرَّفَ من دمع الندى قطرات

حسن كامل الصيرفي